المرجعية الدينية والسلطة في العراق (١٩٥٨ – ١٩٦٠)
المواقف والرؤى

م.م علي عمار حسين
جامعة بابل- كلية الآداب
ali.ammar@uobabylon.edu.iq

الملخص

سلط الباحث الضوء على علاقة مرجعية النجف الاشرف مع السلطة الحاكمة في العراق، خاصة وان العراق شهد انعطافه تاريخية في مسار النظام السياسي من الملكية الى الجمهورية، اذ شهدت العلاقة ما بين المرجعية في حوزة النجف الاشرف متمثلة بالسيد محسن الحكيم والسلطة الحاكمة في العراق تقلبات متباينة بحسب ما كانت تقضيه المرحلة، وبرز علماء اخذو على عاتقهم الدفاع عن مصالح الشعب العراقي، ركز الباحث على دور السيد محسن الحكيم وطبيعة علاقاته مع السلطة الحاكمة خلال الحقبة التاريخية (١٩٥٨-١٩٦٠).

يشتمل البحث على مقدمة ومحورين وخاتمة، اذ بينت المقدمة الإطار العام للبحث وواضحت الدور المهم والمفصلي للمرجعية الدينية في النجف الاشرف وتأثيرها على اداء السلطة الحاكمة في العراق من خلال تأثيرهم الكبير على الرأي العام في العراق وخارجه، تناول المحور الأول النشأة والتكامل بين المرجعية والحوزة وبروز ذلك الكيان المهم والفعال على مدى تاريخ العراق السياسي، وتناول المحور الثاني مواقف مرجعية النجف الاشرف إزاء النظام الجمهوري الجديد في العراق، ووقوف السيد محسن الحكيم ضد المد الشيوعي وتسلطه على رقاب العراقيين.

الكلمات المفتاحية: النجف الاشرف، المرجعية، السلطة، الحوزة العلمية، فتوى .

ABSTRACT

The researcher shed light on the relationship of the authority of Najaf Al-Ashraf with the ruling authority in Iraq, especially since Iraq witnessed a historical turning point in the path of the political system from the monarchy to the republic. What the stage was spending, and scholars emerged who took it upon themselves to defend the interests of the Iraqi people, the researcher focused on the role of Mr. Mohsen al-Hakim and the nature of his relations with the ruling authority during the historical era (1958-1960).

The research includes an introduction, two axes, and a conclusion, as the introduction shows the general framework of the research and clarifies the important and articulated role of the religious authority in Najaf and its impact on the performance of the ruling authority in Iraq through their great influence

on public opinion in Iraq and abroad. The important and effective entity throughout Iraq's political history. The second axis dealt with the positions of the Najaf reference point towards the new republican regime in Iraq, and Mr. Mohsin al-Hakim's standing against the communist tide and its domination over the necks of Iraqis.

key words:

Al-Najaf Al-Ashraf, the reference, the authority,, a fatwa

المقدمة

المرجعية الدينية هي المحور الذي ترتكّز عليه حركة الشيعة في كل العالم على مختلف الأصعدة وعلى مدى العصور، تزايد تلاحم الناس مع العلماء وترسخت المرجعية في اذهان الامة، اذ أضحت المرجعية العمود الأساس وعنصر الإنقاذ للامة، والتي لا تنطلق في نظرتها للأمور من منطلق فئوي او طائفي او تمثيلها للشيعة فقط، وخاصة في العراق ذات المذاهب والأديان والقوميات المتعددة، لذا ارتأ الباحث اختيار هذا الموضوع لما له من اهميه كبيرة محاولة منه لتسليط الضوء على تلك الحقبة التاريخية المهمة التي شكلت المرجعية محورها.

بعد اعلان انقلاب تموز ١٩٥٨ الذي إقام النظام الجمهوري، حصلت في البداية ردود أفعال إيجابية من قبل نسبة معتدة من الشعب العراقي وكذلك من قبل المرجعية في النجف الاشرف ، اذ أصدر عدد من علماء الدين بيانات ورسائل باركوا فيها قيام اول جمهورية عراقية وحثوا الشعب على ان يكونوا عوننا لها في إقامة حكم عادل ومنصف للجميع، الا ان الوضع تغير بعد ان شخصت المرجعية السياسات الخاطئة للنظام الجمهوري الجديد، ووجه السيد محسن الحكيم العديد من الرسائل الى الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم ناصحا له تعديل سياسته ولجم الشيوعيين، حتى اعلن في نهاية الامر فتواه الشهيرة ضد الانتماء للحزب الشيوعي

تناول البحث طبيعة العلاقة بين مرجعية السيد محسن الحكيم والنظام الجمهوري الجديد في العراق عقب انقلاب عام ١٩٥٨، اذ قسم البحث المعنون (المرجعية والسلطة في العراق ١٩٥٨-١٩٦٠) الى مقدمة ومحورين وخاتمة، تناول المحور الأول المعنون (النشأة والتكامل بين المرجعية والحوزة) ظهور مفهوم الحوزة العلمية ودور المرجعية في قيادتها وتزعمها المذهب الشيعي، وانعكاس حركيتها على النظام السياسي الحاكم في العراق، كما تناول المحور الثاني المرجعية والسلطة في العراق (مرجعية السيد محسن الحكيم) طبيعة العلاقة بين المرجعية في النجف الاشرف متمثلة بالسيد محسن الحكيم مع النظام الجهوري الجديد في العراق وتباين تلك المواقف، ووقوف المرجعية ضد المد الشيوعي.

استخدم الباحث عدد من المصادر العربية والمعربة وكان في مقدمتها كتاب (موسوعة الحوزة العلمية) لمؤلفها محمد باقر الحكيم التي اغنت البحث بمعلومات مهمة، وكذلك كتاب (تاريخ الحركة الاسلامية في العراق) لمؤلفه عبد الحليم الرهيمي اذ سلط الضوء على طبيعة الحركة الإسلامية في العراق، أفادت الباحث كثيرا، بالإضافة الى عدد من المصادر المهمة الأخرى .

المحور الأول: المرجعية الدينية.... قراءة في التأسيس والمواقف حتى عام ١٩٥٨م

يطلَق على أماكن الدراسة عند المذهب الشيعي اسم (الحوزة)، وقد عرف الشيعة الامامية الجعفرية عبر تاريخهم العديد من الحوزات التي شكّلت مركز ثقل ديني وعلمي عندهم، وشهدت الكثير منها نموًّا وازدهاراً ثم تراجعا تبعًا للظروف السياسية، مثل ما حل بحوزة الحلة الدينية(٥٦٢-٩٥١هـ)، وهناك عدد من الحوزات العلمية في مختلف الدول، الا ان اهم الحوزات على الاطلاق، هي حوزة النجف الاشرف التي تعد مركز ثقل الشيعة عبر التاريخ، والتي أصبحت قبلة الدارسين بعد ان تأسست على يد الشيخ الطوسي.[١]

نشئت الحوزة عند مرقد امير المؤمنين (ع) في ظهر الكوفة أواخر القرن الثاني الهجري، بكلام اخر عام ١٠٥٦م، بعد هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف، قبل ذلك كانت تتكون من بعض البيوتات العلمية، إلا أنّها لم ترتقِ إلى ظاهرة تأسيس حوزة علمية، لكن منذ أن نزل الطوسي هناك هاجر إليها العلماء وطلبة العلم، فكانت منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا معقل رجال التشريع وزعماء الدين ومراجع التقليد عند الشيعة الامامية، وكان الوافدون إليها زيارة وتحصيلًا يستوطنونها هم وذرياتهم وأعقابهم، وهذا أدّى إلى تشكيل حوزة دينية لنشر التشيع في العالم الإسلامي وغيره.[٢]

ان دراسة موقف وحركة المرجعية الدينية واثرها في المجتمع العراقي وتعامل السلطة الحاكمة معها، لا بد علينا أن نفهم المنطلق الأساس لتلكَ الحركة من خلال الفهم الاسلامي لمنهج أهل البيت (عليهم السلام)، والذي اكد على أن الساحة لا يمكن أن تخلو من حضور الإمام في حركية إمامته، فالله سبحانه وتعالى لا يمكن بقاء الأرض خالية من حجته، أكانت الحجةُ حجةً النبوة أو الإمامة أو كانت حجةً ثانوية فيما تحركت فيه الإمامةُ لتمنح للعلماء امتداداتها، وايصال كل المفاهيم التي تحركت في الحياة سواء في المضمون الفكري عقيدةً وفقهاً ومنهجاً وقاعدةً للحياة.

ولعل المنطلق لحركة المرجعية قول الامام الحجة المهدي (ع) :[٣] ((أما الحوادثَ الواقعة فارجعوا فيها إلى رواةِ حديثنا، فانَّهم حجتي عليكم، وانا حجةُ الله عليهم)) ومن ذلك المنطلق نهض العلماء بهذا الامر

الثقيل الذي حفظ الشريعة والمذهب، وأنار الدرب للأجيال والشعوب على مر العصور بعد الغيبة الكبرى. (٤)

ان في العقيدة الإسلامية والمذهب الشيعي الجعفري ما يُؤسس لتلك الحركية الفاعلة لزعماء المرجعية الدينية، ومن هنا نجد الفقهاء يتفقون على الرغم من بعض الاختلافات الاجتهادية، على انه إذا توقف حفظ العقيدة على إدارة الواقع من قبل سلطة أو حاكم ودار الأمُ بين المرجع وبين غيره، فان المرجع يكون هو المتعين والولي، لا من خلال أنَّ موقع المرجعية يفرض ولايته ولكنه ولياً باعتبار توقف حفظ النظام على أن يكون هناك قائد، وعندما دار الأمر بين المرجع وغيره، فأن قيادة المرجعية هي التي تفرض نفسها على ذلك الأساس، ووفقا للقاعدة الشرعية ((ما لا يدرك كله لا يترك جزه)) [٥]ومن هنا نشاهد الدور الفعال للمرجعية في قيادة المجتمع العراقي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والحفاظ على بيضة الإسلام وخاصة في مراحل حكم أنظمة الجور والاستبداد، والسعي الدؤوب بالمجتمع نحو مراتب الكمال التي رسمتها النظم الإسلامية والفقه المحمدي.

استطاعت المرجعية الدينية بعلمائِها ومراجعها المجتهدين أن تصمد عبر العصور التاريخية أمام المحن والابتلاءات، و مختلف عمليات الاضطهاد والإبادة والَقمع والمطاردة، التي واجهتها على مر التاريخ واخلاف العصور، لقد تعددت الأدوار والمواقف التي خاضها مراجعها، ولم يتركوا مساحةً دونما وضعوا لها أسس الإصلاح وعالجوا كل خلل أو علة فيها، بالإضافة إلى دورهم في حفظ تعاليم الشريعة والمذهب ومعالم الدين الحنيف، فكانوا المُحرِّك الفعال للامة المذهب والذي يحسب له الأعداء ألف حِساب ويحذر منهم القريب والبعيد. ولعل هذا الوصف الواضح لدور المرجعية في النجف الاشرف يكشف لنا ولو جزءا يسيراً من ذلك الدور ''وهكذا كانت النجف في عهد الشيرازي وتلميذه الخراساني تؤدي بعروش الجبابرة وتخيف روسيا وبريطانيا ويستنجد بها ويلجأ اليها احرار البلاد الإسلامية ، ويخرج عظمائها الى ساحة الجهاد [٦]مصممين على الاستشهاد من اجل الانسان وحرية الانسان ويعترف لها العالم بالسبق الى الثورات التحررية''[٧]

رزح العراق كما هو معروف تاريخيا تحت نير الاحتلال العثماني زهاء الأربعة قرون (١٥٣٧-١٩١٨) و كانت الحقبة من أسوأ الحقب في تاريخه الحديث، فقد كان عصراً من التخلف والاضطهاد والتخلف، عانى خلاله الشعب العراقي صنوفاً من الظلم والقساوة، ومختلف السياسات القهرية ومنها سياسة التتريك ومحاولات طمس اللغة العربية، وتجنيد شبابه في حروب توسعيه لا مصلحة له فيها، واستغلال خيرات البلاد وثرواته أبشع استغلال، مما أعاد العراق إلى القرون الوسطى بعد أن كان محطة علمية

وحضارية مميزة، وفوق ذلك كله اسس العثمانيون الى الطائفية المقيتة وعاش الشيعة فترة التخلف والحرمان والاضطهاد[٨]

على رغم من سياسة العثمانيين تجاه العراق وبالأخص تجاه المرجعية الدينية واتباعها من المذهب الشيعي الامامي، الا انه عند غزو الانجليز العراق عام ١٩١٤م أفتت المرجعية الدينية من خلال الميرزا (محمد تقي الشيرازي) [٩]بمساندة المسلم وان كان ظاهرا (الدولة العثمانية) ضد الانجليز[١٠]

المتتبع لدور وموقف المرجعية الدينية في العراق وخاصة منذ مطلع العقد الأول من القرن العشرين يلاحظ الدور الوطني الواضح ضد الاستعمار البريطاني، والذي قاده جملة من المراجع والعلماء وعلى رأسهم الميرزا محمد تقي الشيرازي والسيد محمد سعيد الحبوبي[١١] ، والذي شارك في القتال شخصياً ضدهم في الشعيبة عام ١٩١٤م، ولم يكن ذلك الجهاد لحساب جهة ما آو بدفع من دولة معينة بل كان همه الأكبر حفظ بيضة الإسلام والدفاع عن حياض الامة' كما تواصل جهادهم ونضالهم بالمشاركة وقيادة الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠م.[١٢]

لعل من باب الانصاف والموضوعية هنالك انتفاضات اخرى تزامنت مع ثورات الجنوب لكنها لم ترق اليها ابدا، كما ان ثورة العشرين هي أول ثورة وطنية ضد الاستعمار البريطاني خاضها الشعب العراقي وتعد مفتاح وحدة العراق، كما انها أولا الثورات في الشرق الاوسط ضد بريطانيا، وقد وصفها الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، ((بأنها الثورة التي هزت العرش البريطاني))، تلك الثورة كانت مفتاح اعلان العراق كدولة تحت حكم النظام الملكي، بعد اعوام من السيطرة الاجنبية عليه[١٣]

عقدت الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ الذي حضره وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل لمناقشة موضوع الانتفاضات العربية كثورة ١٩١٩ في مصر وثورة العشرين في العراق وانتفاضة اليمنيين والسوريين والفلسطينيين وتقرر منح تلك الدول استقلالا ذاتيا محدودا، حيث عينت بريطانيا بدايةً حكومة عراقية مؤقته وهو (عبد الرحمن النقيب)عام ١٩٢٠ [١٤] بعدها سمي فيصل ملكاً على العراق مع توصية بإجراء استفتاء لتأكيد التنصيب، وتوج فيصل رسمياً ملكاً في ٢٣ آب١٩٢١[١٥]

وصل الملك فيصل الأول من خلال باخرة انكليزية من القاهرة واستقبله عبد الرحمن النقيب الذي نصب بعدها رئيسا للوزراء، حكم فيصل الاول وهو أول ملوك المملكة العراقية (١٩٢١-١٩٣٣) ثم بعده الملك غازي بن فيصل الأول بن حسين ثاني ملوك العراق وحكم من ١٩٣٣ ولغاية ١٩٣٩، ثم جاء بعده الملك فيصل الثاني بن غازي بن فيصل بن حسين وهو ثالث وآخر ملوك العراق من الأسرة الهاشمية،

والذي آل العرش اليه عام ١٩٣٩ عقب وفاة والده الملك غازي وأصبح ملكا تحت وصاية خاله الأمير عبد الاله لأنه كان في السادسة من عمره، حتى بلغ السن القانونية ليتوج ملكا في ٢ مايو ١٩٥٣ وحتى مقتله في ١٤ تموز ١٩٥٨ بقصر الرحاب بالعاصمة بغداد مع عدد من افراد العائلة الملكية و بوفاته انتهت سبعة وثلاثين عاما من الحكم الملكي للعراق(١٦).

كانت اقوى تحذير وجهته المرجعية في أواخر الحكم الملكي للعراق، علي يد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(١٧) ، الذي وجه نداء الى الحكومة العراقية محذرا فيه من خطورة ما وصلت اليه الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق(١٨) ، والشعور المتنامي بالغضب عند الجماهير، وبالأخص الشباب منهم، الذين يشعرون بالتهميش والاقصاء من السلطة الحاكمة في إدارة الدولة وبالأخص الشيعة، ومنبهاً لثورة قادمة قد تقلب الأوضاع رأساً على عقب في حال بقاء الوضع عما هو عليه(١٩)

على الجانب الاخر تزايد الضغط الشعبي على العهد الملكي للعراق، والحوزة العلمية للحصول على دور سياسي واداري في الدولة العراقية ضد الشيعة، وترك سياسة الاقصاء والتهميش، خاصة بعد تزايد اعداد المتعلمين من الشباب الشيعة في أواخر الحكم الملكي، وطلبهم من المرجعية الدينية التدخل لدى السلطات الحاكمة، والتي لم تكن جادة في تحقيق طموح الشباب الشيعي، مما ولد تزايد الاستياء والنفور لديهم(٢٠) ، وهذا ما حدث فعلا فيما بعد اذ ان اية سلطة لا تهتم بتلبية مطامح شعبها وخاصة الشباب منهم فإنها زائلة لا محال.

المحور الثاني: مواقف ورؤى زعيم المرجعية الدينية تجاه السلطة في العراق ١٩٥٨-١٩٦٠م

ترك انقلاب ١٤تموز ١٩٥٨م الذي إقام النظام الجمهوري، ردود أفعال إيجابية عند المرجعية الدينية، اذ أصدر اغلب المراجع رسائل باركوا فيها قيام اول جمهورية عراقية وحثوا الشعب على ان يكونوا عوننا لها في إقامة حكم عادل ومنصف للجميع(٢١)

ومن جهة أخرى لوحظ ان إجراءات الحكومة الجديدة تركت انطباعا شعبيا لدى غالبية العراقيين بغد أفضل وشعور لدى الناس ان المستقبل أفضل، ولا سيما ان فئات العمال والفلاحين الذين أصبحوا بسرعة قاعدة الجمهورية الجديدة وعبد الكريم قاسم' على الرغم من وجود فئة كبيرة من الشعب ساخطة على زوال الحكم الملكي في العراق. (٢٢)

الا ان الموقف تغير وخاصة من زعماء المرجعية الدينية تجاه الجمهورية الجديدة بعد سلسلة من المواقف والاجراءات، وعلى رأسها صدور قانون الأحوال الشخصية الذي ساوى في حصص الإرث بين الرجل والمرأة، والذي اعتبر خلافا لعقيدة الاسلام ومخالفة نص قرآني صريح، والذي شكل الى جانب قضايا أخرى انعطاف في تعامل رجال الدين مع الجمهورية العراقية، وشكل مرحلة جديدة من تعامل المرجعية الدينية التي وقف اغلب مراجعها المد الشيوعي في العراق [٢٣]

شهدت خمسينيات من القرن العشرين الميلادي تحولات سياسية واجتماعية وثقافية كبيرة، تزايد فيها التنافس بين القطبين الكبيرين الذين حكما العالم[٢٤] ، والى احداث إقليمية عديدة منها بروز النهج القومي او الناصري[٢٥] ، بالإضافة الى ظهور كيان صهيوني في قلب الامة العربية، وكذلك تجربة محمد مصدق في إيران وتأميمه النفط عام ١٩٥١م[٢٦]، ومن ثم العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وعدد من الاحداث المختلفة، ولم تكن المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف بعيدة عن تلك الاحداث[٢٧]. خاصة اننا نعرف ان تاريخ المرجعية حافلا بالحركية وتأثيرها على مجمل الاحداث السياسية.

تزعم المرجعية الدينية السيد محسن الحكيم [٢٨] في الخمسينات من القرن العشرين، والذي شهد انقلاب تموز١٩٥٨ وعاش احداث هذه المدة سواء في العهد الملكي حين رفض مقابلة الملك فيصل الثاني اثناء زيارته النجف الاشرف، بسبب سياسة الملك الاستبدادية وتلاعب البريطانيين فيه، ولم تهدأ مطالبته الجادة كذلك في العهد الجمهوري، وفي كل ادواره، كانت مواقفه معروفه، وخاصة فيما يتعلق بإنهاء الحكم الاستثنائي العسكري الذي فرض تعطيل الدستور، ومؤسسات الحكم المدني.[٢٩]

بعد اعلان النظام الجمهوري رحبت الاوساط الدينية والاجتماعية بالتغيير، كما عمل عبد الكريم قاسم على اظهار حسن النية وحاول التقرب من المرجعية الدينية، اذ صرح لوفد من العلماء التقوا به بعد استلامه الحكم وأبدوا تخوفهم من المد الشيوعي، اذ طمأنهم ان لا شيوعية [٣٠] ولا فاشية [٣١] في العراق وان ديننا كفيل بما تتطلبه الحياة الاجتماعية.[٣٢]

على الرغم من عدم قناعة السيد محسن الحكيم بتأييد الجمهوريين، الا انه أرسل رسالة موجهة الى عبد الكريم قاسم، تضمنت النصح والتشجيع على خدمة مصالح الناس، واكد على اتخاذ النهج السليم والطريق الصحيح في الحكم، وحذر من العواقب التي لحقت بمن هم قبله[٣٣] ، وإذ تفحصنا مضمون رسالة الحكيم نرى فيها توجيه وتحذير ولم تتسم بالدبلوماسية المتعارف عليها في الخطابات الرسمية، مما يدلل على مكانة السيد الحكيم وقوة ورصانة مركزه.

قام عبد الكريم قاسم بزيارة مع نائبه عبد السلام عارف [٣٤] الى السيد محسن الحكيم في ٥ أيلول ١٩٥٨م الذي كان راقداً في المستشفى نتيجة مرضه[٣٥] ، وخاطب عبد الكريم قاسم السيد الحكيم بالقول ((انني جئت من اجل ان احقق طموحات الناس وأخلصهم من الظلم والطغيان .... وانا حاضر لتوجيهاتكم)) فأوصاه السيد محسن الحكيم بعدة أمور منها ((الرحمة بالناس، وان الظلم قد مورس بحق الامة، فاذا استطعت ان تخدم الناس فهذا هو العمل الصالح ...)) [٣٦] مما يؤسف له ان عبد الكريم قاسم لم يلتزم بنصيحة السيد محسن الحكيم

الا ان هذه العلاقة لم تدم طويلاً ، فبعد الحرية التي منحها قاسم للشيوعيين حتى غدت مؤلفاتهم ومصادرهم الداعية الى الالحاد تنتشر في مدينة النجف الاشرف وبأسعار زهيدة لا سيما كتاب المادية الديالكتيكية الذي كان يوزع مجانا[٣٧]، لم يقتصر الامر على ذلك فحسب، بل وصل الامر الى سيطرة عدد من الشيوعين النجفيين على صحيفة الايام التي تصدر في النجف، وعلى أثر ذلك بدأت التحركات الاسلامية ضد الشيوعية بعد ان صدرت دعوات لإلغاء الحجاب، اذ قام العديد من الشخصيات الاسلامية بتأليف الكتب التي تدحض الآراء والاصوات الداعية لنشر الفساد في المجتمع آنذاك.[٣٨]

على اثر ذلك تحركت المرجعية الدينية بكامل ثقلها والقوى الوطنية المناوئة لنظام عبد الكريم قاسم جداراً معارضة لحكمه، حتى وضعت المرجعية حداً لتجاوزات الشيوعيين التي طالت بالإضافة الى ما ذكر، ابناء الموصل بعد قمع ثورة عبد الوهاب الشواف عام١٩٥٩[٣٩]

اصدر السيد محسن الحكيم في ٢٠ شباط ١٩٦٠ فتواه الشهيرة ، وجاء في نص الفتوى: ()لا يجوز الانتماء الى الحزب الشيوعي فان ذلك كفر والحاد، او ترويج للكفر والالحاد اعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم ايمانا وتسليما والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٤٠]) والتي اهتز لها العراق من اقصاه الى اقصاه وامتد تأثيرها الى خارج العراق، ومما ساعد في انتشار الفتوى هو تراجع ظاهري لعبد الكريم قاسم عن احتضان الشيوعيين واتهامهم بالفوضويين [٤١]وكذلك دور عشرات الكتب منها كتب السيد محمد باقر الصدر[٤٢] في الرد على اطروحات الشيوعية لاسيما كتابي فلسفتنا واقتصادنا، حيث كانت عوامل مهمة في تقويض مساحات الانتشار الشيوعي.[٤٣]

يمكن القول إذا أردنا ان نحلل ولو الشيء اليسير أسباب صدور الفتوى فيمكن تلخيصها بعاملين الأول هو العامل الشرعي، فالشيوعية لا تؤمن بالله، أي انها ايديلوجية وفكر الحادي، وهنا جاءت الفتوى في إطار السياق الشرعي الذي لا يرى المراجع ومنهم السيد الحكيم مفراً منه.

اما العامل الثاني فهو العامل السياسي اذ ان بعض الناس فهم الفتوى في اطار انه حكم شرعي فقط، الا ان القضية ليست كذلك فهي قضية سياسية، اذ أراد المراجع ان يلجموا التطرف الشيوعي ويضعوا حداً لمنهجهم ولتصرفاتهم، انقذ الناس من حالة الانحراف والقلق، وبرز رأي الاسلام الصريح بالشيوعية وينبههم الى خطورة الانضمام الى هكذا حزب ذو فكر هدام ومنهج منحرف سياسيا ودينيا واجتماعيا، على الرغم من اللغط المغرض الذي اثير من البعض حول هدف الفتوى الحقيقي واستغلاله من جهات سياسية مناوئة لعبد الكريم قاسم [٤٤].

استبشر العراقيون في بادئ الامر إصدار الحكومة العراقية قانون رقم ١٨٨ لعام ١٩٥٩ الخاص بالأحوال الشخصية، اذ تم الاعتقاد بأن القانون ذا نهج وطني ويصب في توحيد كلمة المسلمين، الا ان المفاجأة كانت في المادة ٧٤ من القانون والتي نصت على التساوي في الميراث بين الرجل والمرأة[٤٥] ، مخالفة وبصورةً صريحةً لقوله تعالى ((يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)) [٤٦]

اضافة الى عامل المساواة بين الجنسين، وإعطاء الحق لها في الطلاق كما للرجل، اذ تم تحديد سن الزواج بثمانية عشر عاماً ومنع تعدد الزوجات الا في الحالات الاستثنائية، لقد شكل قانون الاحوال الشخصية تحدياً لنصوص القرآن الكريم والاسلام، اذ ان المادة الاولى او الثانية من الدستور العراقي تؤكد ان الاسلام دين الدولة الرسمي فان تشريع مثل هذا القانون يعد استهانة بالدستور ومن ثم استفزازاً لمشاعر المسلمين [٤٧]

أرسل السيد محسن الحكيم وفدا الى عبد الكريم قاسم وحثه على إلغاء القانون، الا انه لم يستجب لطلبه [٤٨] ، كما كانت اغلبية الجماهير تؤازر المرجعية الدينية وتدعمها في معارضة القانون المذكور، وتؤيد طرح قانون يتوافق مع الشريعة الاسلامية بديلا عنه[٤٩]

الخاتمة

لم يكن العلماء والمراجع بمعزل عن المجتمعِ الذي عاشوا فيه تبعاً لمسؤولياتهم الشرعية، حذرت المرجعية النظام الملكي في أواخر حكمه، اذ وجه السيد محمد كاشف الغطاء نداء الى الحكومة العراقية محذرا فيه من خطورة ما وصلت اليه الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق والشعور المتنامي بالغضب عند الجماهير، وبالأخص الشباب منهم، الذين يشعرون بالتهميش والاقصاء من السلطة الحاكمة في إدارة الدولة ومنبهاً لثورة قادمة قد تقلب الأوضاع رأساً على عقب في حال بقاء الوضع عما هو عليه.

في بداية اعلان النظام الجمهوري أعلن الكثير من العلماء ترحيبهم بالأمر الا ان سرعان ما تغيرت تلك المواقف بعد سلسلة من المواقف والإجراءات التي اتخذها النظام الجديد، وعلى رأسها صدور قانون الأحوال الشخصية الذي ساوى في حصص الإرث بين الرجل والمرأة، والذي اعتبر خلافا لعقيدة الاسلام ومخالفة نص قرآني صريح، والذي شكل الى جانب قضايا أخرى انعطاف في تعامل رجال الدين مع الجمهورية العراقية، وشكل مرحلة جديدة من تعامل المرجعية الدينية التي وقف اغلب مراجعها في النجف الاشرف ضد الحكم الشيوعي في العراق.

تحركت المرجعية بكامل ثقلها متمثلة بالسيد محسن الحكيم وشكلت بالإضافة الى القوى الوطنية المناوئة لنظام عبد الكريم قاسم جداراً معارضة لحكمه، حتى وضعت المرجعية حداً لتجاوزات الشيوعيين اذ أصدر السيد الحكيم في ٢٠ شباط ١٩٦٠ فتواه الشهيرة بتحريم الانتماء للحزب الشيوعي.

مما لا شك فيه ان المرجعية الرشيدة في النجف الاشرف تضع مصلحة البلاد في مقدمة أولوياتها، فبعد الانعطافه التاريخية الكبيرة التي شهدها العراق وقيام انقلاب عام ١٩٥٨ الذي انهى النظام الملكي واعلن النظام الجمهوري وقف المرجعية في مرحباً بالنظام الجديد في بداية الامر اذ أصدرت البيانات المؤيدة لذلك ومنها بيان السيد محسن الحكيم زعيم المرجعية في حينها، الا ان الموقف تغير بعد رؤية السياسات الخاطئة للسلطة الحاكمة في العراق من خلال القوانين التي أصدرتها ومنها قانون الأحوال الشخصية، بالإضافة الى اتاحة فتح الأبواب امام توسع المد الشوعي للتغلغل بين الشباب العراقي، لذ وقفت المرجعية الدينية في النجف الاشرف وعلى رأسها السيد محسن الحكيم واسست جداراً للوقوف ضد سياسات النظام الجمهوري الجديد.

كما اتسعت الفجوة بين عبد الكريم قاسم والقوى المختلفة في الساحة العراقية ومنها المرجعية الدينية، بسب العديد من السلوكيات التي انتهجها حكمة ومنها غير الذي ذكرنا فيما سبق، السياسيات الإقليمية، وتفاقم تبعات المشكلة الكردية.

هوامش البحث

[1] ((محمد أبو جعفر الطوسي (٩٩٥- ١٠٦٨م): ولد الشيخ الطوسي بمدينة طوس في إيران، هاجر الى بغداد عام ١٠١٧ م لتلقي العلوم الاسلامية على يد الشيخ المفيد والشريف المرتضى وغيرهم من اساتذته، وأثر نبوغه العلمي منحه الخليفة القائم بأمر الله كرسي الكلام في بغداد، لكن سرعان ما هاجر شيخ الطائفة الى النجف الاشرف إثر فتنة طائفية في عهد السلاجقة احرقت على أثرها داره ومكتبته عام ١٠٥٦م، وبرحيله الى النجف الاشرف اسس حوزة علمية جذبت اليها الطلبة من مختلف المدن. للمزيد ينظر الى: عبد الهادي الحكيم، حوزة النجف الاشرف النظام ومشاريع الاصلاح، مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية، بغداد ٢٠٠٧، ص ٢٢.

[٢]() محمد باقر الحكيم: موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف، ٢٠٠٥م، ج ١، ص٢٣.

[٣]() الامام المهدي: ولد عام (٢٥٥هـ) وهو أبو القاسم محمد بن الإمام الحسن العسكري، ابن الإمام علي النقي، ابن الإمام محمد التقي، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب، الإمام الثاني عشر والأخير عند الشيعة الاثني عشرية، خلف المهدي أباه العسكري وله خمس سنوات، ويعتقد الشيعة بانه سوف يظهر في اخر الزمان. للمزيد ينظر الى: محمد احمد المالكي، الفصول المهمة في معرفة الائمة، ج٢، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ١٤٢٢هـ، ص ١١٠٣

[٤]((الشيخ المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية،ج١، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم المقدسة ١٩٩٠، ص ٤٧٨

[٥]((محمد حسين النائيني، الاستبدادية والديمقراطية، مجلة العرافان اللبنانية، المجلد ٢٠ لعام ١٩٣٠، ص ١٧٢

[٦]((لقد شكل الجهاد اساساً حيويا في منظومة الفكر لدى المراجع باعتباره فرض كفائي في أصل الشريعة وفرض عين في بعض الأحوال الاستثنائية، فضلا عن كونه القوة الفاعلة لحماية الامة في المنظور الإسلامي إزاء تعرضها للأخطار للمزيد ينظر الى: علي البغدادي معالم الامامة في فكر السيد البغدادي، ج١، ط٣، مؤسسة النبراس للطباعة، النجف الاشرف ٢٠٠٩، ص ٢٥

[٧]((محمد جواد مغنية، مع علماء النجف الاشرف، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٩٢ ص١٢٥

[٨]((جميل موسى النجار، لمحات من دور النجف في مناهضة سياسة التتريك ١٩٠٩-١٩١٥ وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠١٣، ص٧

[٩] محمد تقي الشيرازي (١٨٤٠-١٩٢٠): ويلقب بالحائري الشيرازي، ولد في إيران وهاجر الى العراق وأقام في كربلاء، ثم انتقل هو وأستاذه الميرزا حسن الشيرازي إلى سامراء، وبعد وفاة أستاذه استلم زعامة الحوزة العليمة في سامراء، ثم أصبح مرجعاً للطائفة الشيعية، وذلك بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي عام ١٩١٩ ، ويعتبر السيد الشيرازي القائد والموجه الفعلي لثورة العشرين الكبرى ضد الانكليز عام ١٩٢٠. للمزيد ينظر الى: كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، دار المؤرخ العربي، بيروت ٢٠٠٩، ص ١٤

[١٠]() عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، ط١، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥، ص١٩٠

[١١]((محمد سعيد الحبوبي (١٨٤٩-١٩١٥) ولد في مدينة النجف ودرس في حوزتها، وهو أحد كبار علماء النجف الاشرف الذين قادوا المجاهدين ضد الغزو البريطاني للعراق ١٩١٤ وواجهوا أحد أكبر الجيوش لدولة عظمى بكل بسالة وشجاعة. للمزيد ينظر الى سعيد رشيد مجيد، رجال العراق والاحتلال البريطاني، ج١، مكتبة دار الفتال، ١٩٩٠ ص ٢٣

[١٢]((جلال كاظم محسن، الدور السياسي للعشائر العراقية ١٩١٨-١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية ٢٠٠٣، ص٩٠. اسحق نقاش، شيعة العراق، ط٢، دار المدى للطباعة، بغداد ٢٠٠٣، ص ٧

[١٣]() احمد جاسم محمد، المرجعية الدينية والثورات في العراق (ثورة العشرين انموذجاً)، مركز الفرات للدراسات الإستراتيجية، العدد ٩٣٨٧، ٢٠١٧/٩/١٣، بغداد

[١٤]() عبد الرحمن النقيب: (١٨٤٥-١٩٢٧) ولد في بغداد ودرس فيها كان ذا شخصية ارستقراطية ولسان لبق، تمتع بعلاقات قوية مع العثمانيين ومن بعدهم البريطانيين أيضاً، أصبح اول رئيس لوزارة عراقية مؤقته يشكلها الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠، وصفه الكاتب علي الوردي (بانه صاحب أخطر دور في تاريخ العراق)، تميز بالطائفية خدمة الأجنبي. للمزيد ينظر الى: رجاء حسين حسني، عبد الرحمن النقيب رئيس الحكومة العراقية المؤقتة، المكتبة العالمية، بغداد ١٩٨٤، ص ١٧

[١٥] عبد الكريم آل نجف، الشَّيخ محمَّد حسين النائيني دراسة في حياته العلمية والسِّياسيَّة، مجلة المنهاج، العدد ١٥، بيروت ١٩٩٩، ص ١٥٨

[١٦]((لطفي جعفر فرج، الملك فيصل الثاني آخر ملوك العراق، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠١، ص ٢١

[١٧]() محمد الحسين كاشف الغطاء: (١٨٧٧-١٩٥٤) ولد في النجف الاشرف، من أسرة علمية معروفة، وأصبح مرجع ديني كبيرا، كان من دعاة الوحدة الإسلامية، وله نشاط واسع في الحركة الوطنية في العراق، ل عدة كتب منها (الدين والإسلام،

أصل الشيعة وأصولها) للمزيد ينظر الى: عبد الكريم آل نجف، من اعلام الفكر والقيادة والمرجعية، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٨، ص ٧٢

[١٨]() إسحاق النقاش، شيعة العراق، ط١، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٨٩، ص ١٧٣

[١٩]((محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا في الإسلام، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٥٤، ص ٢٢- ٢٥

[٢٠]((إسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ١٧٥

[٢١]((حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، دار الثقافة، باريس ١٩٨٩، ص٢١٠

[٢٢]((عبد الكريم قاسم :(١٩١٤-١٩٦٣) ولد من عائلة فَقيرة تَسكن محلة المَهديّة وهي من أحد أحياء بغداد الشَعبية، انتقلت عائلته وهو في السادسة من عُمره إلى قضاء الصويرة، بسبب عدم تمكن والده من الإيفاء بحاجات ومتطلبات عائلته الحياتية، دخل عبد الكريم قاسم مَدرسة الصويرة الابتدائية وأمضى فيها أربع سنوات ثم عاد إلى بغداد وأكمل تعليمَهُ الابتدائي والثانوي هُناك، وبعد تَخرجه عَمل معلماً في قضاء الشامية، ومن ثَم دَخل السِلك العَسكري واصبح ضابطا ،اصبح بعدها رئيس وزراء العراق والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع بالوكالة من عام 1958 إلى 1963، ويعدُّ أول حاكم عراقي بعد الحكم المَلكي، انتهى حُكمه وقتل بانقلاب قام به حزب البعث والقوميون العرب عام ١٩٦٣. للمزيد ينظر الى: ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ،ط٢ مكتبة اليقظة العربية، الامارات ١٩٨١. ص ٣٥٣.

[٢٣]((حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية، ص٢١٠

[٢٤]((بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) برز الى الساحة الدولية تنافس كبير بين قطبين حكما العالم هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي، ودخل العالم ما عرف بالحرب البادرة والصراع على جذب الدول لكل من المعسكرين، للمزيد ينظر الى: موسى محمد ال طويرش، العالم المعاصر بين حربين من الحرب العالمية الأولى الى الحرب الباردة، ط ٢، دار ايانا، بيروت ٢٠١٣، ص ١١٥

[٢٥]((نور الدين مجلاوي، تأثير الفكر الناصري على الخليج العربي ١٩٥٤-١٩٧١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٣، ص ٦٩

[٢٦]((علاء رزاك فاضل، دور الولايات المتحدة الامريكية في الاطاحة بحكومة مصدق في إيران ١٩٥٣ في ضوء الوثائق الامريكية، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية ،المجلد ٧، العدد ٢٢، ص ٢٠١٦

[٢٧]((حسين منصور الشيخ، الدكتور عبد الهادي الفضلي تاريخ ووثائق، ط ٢، منشورات لجنة مؤلفات العلامة الفضلي، القطيف ٢٠١٣، ص ٤٠

[٢٨]((السيد محسن الحكيم (١٨٨٩- ١٩٧٠) :هو السيد محسن بن السيد مهدي بن السيد صالح يرجع نسبة الى السيد الحسن المثنى ابن الامام الحسن ابن الامام علي ابن ابي طالب(ع) توفي والده وهو في السن السادسة من العمر فعاش في كنف اخوه الأكبر ، كان مثالا في الزهد والعطاء ، أنهى دراسته الابتدائية ثم دخل الحوزة العلمية وانهى دراسة المقدمات، ثم دراسة السطوح عند أساتذة عصره منهم محمد كاظم الخراساني ومحمد سعيد الحبوبي ، تزعم المرجعية بعد وفاة السيد أبو الحسن الاصفهاني عام ١٩٤٦ ، توسعت وتنامت الحوزة في عهده له عشرات من المؤلفات . للمزيد ينظر الى: جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الاشرف، دار الأضواء الجامعية، بيروت ١٩٩٧، ص ١٠٣؛ سلمان هادي آل جمعة، اعلام من بلادي، دار بوان، سوريا ٢٠٠٥، ص٨١؛ عبد الكريم آل نجف، اعلام الفكر والقيادة والمرجعية، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الاشرف ٢٠٠٧، ص٧٣

[٢٩]((محمد بحر العلوم، النجف الاشرف والمرجعية الدينية، العارف للمطبوعات، ط١، بيروت٢٠١٥، ص١٢٠

[٣٠]() احمد عبد الستار كاطع، دور السيد مرتضى العسكري في معالجة الازمة الاجتماعية والسياسية من خلال المرجعية الدينية ١٩٥٧-١٩٧١، مؤسسة الهدى للدراسات الإستراتيجية، العراق ٢٠١٩، ص ٧

[٣١]((الفاشية: اسم ذا معاني عامة يطلق على الأيدولوجيات أو الحركات السياسية والدول التي تتخذ منها موقفاً قومياً متطرفاً. للمزيد ينظر الى: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥، ص٩ .

[٣٢]( ) احمد عبد الستار كاطع، المصدر السابق، ص ٨

[٣٣]((محمد باقر الحكيم، موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف ٢٠٠٠، ص ٢٠٠

[٣٤]((عبد السلام عارف :(١٩٢١ - ١٩٦٦) ولد في مدينة الرمادي بالعراق، عمل في تنظيم الضباط الاحرار واشترك مع عبد الكريم قاسم في انقلاب ١٩٥٨، اختلف في طريقة العمل مع عبد الكرم قاسم فعينه سفيراً في المانيا، أصبح رئيساً

للجمهورية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، امتاز بالتعصب والطائفية خلال فترة حكمه، قتل بطريقة غامضة خلال سقوط طائرته بالقرب من البصرة. للمزيد ينظر الى: ناصر حسين الاسدي، محنة الاكثرية في العراق صفحات من ملف الطائفية السياسية، قم ٢٠٠٦، ص١٢٦

[٣٥]((ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص٢١٦

[٣٦]((احمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج ١، مؤسسة العارف، لبنان ٢٠٠٠، ص ٢٥٤

[٣٧]( ) المادية الديالكتيكية: ألف الكتاب جوزيف ستالين عام ١٩٣٨هي النظرة العالمية للحزب الماركسي الشيوعي. وهي تدعى مادية ديالكتيكية لان نهجها للظواهر الطبيعية هو اسلوبها في دراسة هذه الظواهر وتفسيرها، وتعتمد فكرتها عن هذه الظواهر من خلال النظرة المادية للحياة. للمزيد ينظر الى: جعفر الهادي، دراسة تحليلية للنظرية المادية الديالكتيكية، ط١، مركز مديرية علوم حوزة قم ١٩٩٥، ص ٢٦

[٣٨]() عبد الحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص٣٢

[٣٩]((رشيد الخيون، المذاهب والاديان في العراق، د.م، ٢٠٠٥، ص٣٠٤. صلاح الخرسان، السيد الامام محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، مطبعة الوسام، بغداد ٢٠٠٤، ص١٥٥.

[٤٠](كاظم الحلفي، الشيوعية كفر والحاد- تصريحات شيوعية عن الدين مع فتاوى كبار العلماء، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٦٠، ص ٢٣

[٤١]((رشيد الخيون، امالي السيد طالب الرفاعي، ط١، دار مدارك للنشر، دبي ،٢٠١٢، ص ١٦٧.

[٤٢]((محمد باقر الصدر: (١٩٣٥-١٩٨٠) ولد في مدينة النجف الاشرف م اسرة دينية وعلمية ولها باع طويل في الحوزة الشريفة، بلغ درجة الاجتهاد وهو في سن مبكر، يعد من كبار المراجع في تاريخ العراق الحديث، تميز بالفكر الفقهي والفلسفي، تصدى لأقوى نظام دموي شمولي والذي أعدم من قبله عام ١٩٨٠ للمزيد ينظر الى: كاظم الحائري، الشهيد الصدر سمو الذات وسمو الموقف، دار البشير، قم، ١٩٩٧

[٤٣]((محمد حسين فضل الله، الحركة الاسلامية مالها وما عليها، دار التوحيد، بيروت ٢٠٠٤، ص١٨٤

[٤٤]((صرح السيد محمد بحر العلوم بالقول ((صحيح ان المرجعية انتصرت على عبد الكريم قاسم، ولكن القوميين والبعثيين استغلوا ذلك واستفادوا منه كثيرا وصعدوا على اكتافنا ونحن لم نلتفت الى هذا الامر الا بعد عدة شهور وبعد فوات الأوان)) للمزيد ينظر الى: عدنان السراج، الامام محسن الحكيم، دارسة تاريخية تبحث عن سيرته ومواقفه وآراؤه السياسية والاصلاحية وأثرها على المجتمع والدولة في العراق، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٢٨

[٤٥]((ايمان عبد الحميد الدباغ، الاخوان المسلمون في العراق ١٩٥١-١٩٧١، ط١، بيروت٢٠٠٠، ص ٤٨١

[٤٦]((سورة النساء، الآية ١١

[٤٧]((حسن العلوي، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين، د.م، ٢٠٠٦، ص٦٥. ولمزيد من التفاصيل عن قانون الاحوال الشخصية ورأي حوزة النجف فيه ينظر الى: محمد بحر العلوم، اضواء على قانون الاحوال الشخصية، مجلة النشاط الثقافي، السنة الثانية، العدد الثاني، النجف الاشرف ١٩٦٣، ص ٨٢٧

[٤٨]() هيثم غالب الناهي، خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية، دار نشر إنترناشيونال برس، لندن ٢٠٠٢، ص١٦١ .

[٤٩]() حسن شبر، يصفحات سوداء من بعث العراق، ط٣، مطبعة لانا، د.م، ٢٠٠٧، ص٤٥